كذلك، فإن الصمود الفلسطيني على مستوى القيادة في بيروت، بالرغم من وطأة الحصار والغارات الجوية والقصف المدفعي، والتأثيرات الفادحة لكل ذلك على المدنيين، خلق عاملاً عرقل تكتيكات المبعوث الأميركي فيليب حبيب، الذي عمل كناقل للشروط الاسرائيلية أكثر مما عمل كوسيط مفاوض. وارتبطت صلابة الموقف القيادي الفلسطيني في وجه الضغوط والشروط الاسرائيلية، بمرونة وواقعية تجاه الطرف الحكومي اللبناني، كان هدفها الرئيسي التأكيد على أن أي اتفاق حول مستقبل الوجود الفلسطيني في لبنان لن يكون إلا اتفاقاً فلسطينياً ــ لبنانياً، وترسم تفاصيله انطلاقاً من قاعدة الاعتراف اللبناني الرسمي بمنظمة التحرير الفلسطينية.

وقد أدت هذه العوامل كلها، إلى احداث تغييرات سياسية محدودة ولكنها مهمة، وتمثلت في استقالة وزير الخارجية الأميركي الكسندر هيغ الذي منح لمعركة اسرائيل تأييد الولايات المتحدة المطلق، وجاء تعيين وزير الخارجية الأميركي الجديد جورج شولتز، ليمثل وقفة أمام التكتيكات الأميركية تجاه أهداف الغزو الاسرائيلي، دون أن يؤثر ذلك على المواقف الاستراتيجية الأميركية حول مستقبل لبنان وأزمة الشرق الأوسط. كما تمثلت هذه التغييرات في تحول واضح في الموقف الأوروبي، وبخاصة الموقف الفرنسي، الذي كان مؤيداً للأهداف الاسرائيلية في بداية الغزو، ووقف شاجباً لأهداف هذا الغزو وتطلعاته عندما بدأ حصار بيروت، وتضح مدى الدمار الذي احدثته اسرائيل في المدن اللبنانية الأخرى. أما الساحة التي بقيت «صامدة» أمام القتال الفلسطيني وتأثيراته، فهي الساحة العربية بشكل عام، والتي انتقلت على امتداد أيام الحرب من الصمت الى التحرك العاجز الذي لم يسفر في اجتماع وزراء الخارجية العرب في تونس مثلاً، إلا عن تشكيل لجنة لمتابعة الأحداث والاتصالات السياسية الدولية. ولا شك بأن هذا العجز العربي إزاء الحدث التاريخي ستكون له نتائج كثيرة وكبيرة، لا بد أن تعبر عن نفسها بخضات متنوعة الأشكال والأهداف في المرحلة المقبلة.

لقد خاضت الثورة الفلسطينية أطول حرب في تاريخ الصراع العربي ــ الاسرائيلي، وأحدثت حربها تفاعلات على مستوى العالم، كله، وأياً كانت نتائج هذه الحرب فوق الساحة اللبنانية، فإن الذين يحلمون بالقضاء على القضية الفلسطينية واهمون. إن القضاء على موقع عسكري لا يعني القضاء على ثورة، ومحاصرة مقاتلين في مدينة ما لا يعني محاصرة القضية، فشعب القضية موجود ومتحرك وفاعل في مناطق الاحتلال وخارجها، وأزمات الثورات لا تزيد عادة إلا من صلابتها، وكل تجربة لا بد أن تفرز دروسها القادرة عليتجديد الدم وتحريك حيوية الذهن التي تؤهل للانتقال إلى مرحلة جديدة من النضال. وإذا كانت حرب لبنان ستطرح من الآن وصاعداً كثيراً من الأسئلة الفلسطينية، فمن المؤكد أن اسئلة كثيرة مماثلة ستطرح على الصعيد العربي أيضاً، والتفاعل الثوري الفلسطيني ــ العربي تجاه هذه الاسئلة سيكون له في المستقبل القريب شأن لا يستهان به. فاالعجز العربي الذي يصل إلى حد التواطؤ لن يكون مسألة عابرة.

بلال الحسن